سر إيمانى بالله

للدكتور جمال الدين الفندى

الأستاذ بكلية العلوم — جامعة القاهرة

إن من ينظر إلى العالم يجد هناك من الابداع والاتقان واستمرار الحياة بحيث لا يمكن أن يكون ذلك عبثاً ، ومحافظة على هذا النظام ، وهذه القوة لابد أن يسلم بها العلم .

ونفس القوانين الطبيعية الحرارية ، ولابد أن يكون من ورائه قوة منظمة تثبت أن الكون وجد فى لحظة معينة أى الكون له ابتداء ، أى غير ازلى ، أى أنه لا نهائى فى القدم ، وله لحظة معينة ابتـــدأ فيها ، وقد تقدر بنحو ٤ آلاف مليون سنة تقريباً ، فإذ الابد أن الكون وجد. هذا الشيء الذى وجد ، إما وجد من تلقاء نفسه ، وإما أوجدته قوة ، أو أوجده خالق ، ولا يمكن افتراض أنه وجد من نفسه ، لأن هذا كلام فارغ .

وإذن فهذا العالم لابد أن يكون قد اوجده شيء ، فإذا افترضنا أن هذا الشيء من نفس نوع الكون ، فيكون هـــذا نوعا من العبث والتخريف .

ويسلمنا هذا القول إلى نفس المشكلة التى نرغب فى حلها ، فلابد أن تكون تلك القوة التى أوجدت العالم تختلف عنه فى كل شيء ، وهـــذا هو الحل الوحيد ، فإذا كان الكون مخلوقا فهو خالق ، وإذا كان الكون مادياً فهو غير مادى ، وهذه القوة التى أوجدت الكون هى الله تعالى .

وليس من شك فى أن قانون الجاذبية والديناميكية الحرارية والخلايا والنظام والتناسل وغـــير ذلك من القوانين والقواعد والنظم التى يلاحظها الإنسان ناطقة بقدرة الله تعالى ، والواقع أن الكون ، كما أراه كعالم طبيعى ، من أرادة الله ، وليس هو الله ، أو شعاع من نور الله ، والكون يعج بالكائنات وهناك من المخلوقات ما لا حصر لهـــا وما نعرف وما لا نعرف .

وهذا كله يشهد على قدرة القادر والقرآن معجزة على وجود الله تعالى ، وإذا كنت أريد أن اتجاهل كل هذا ، فأمامى أحد الرسل وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقد جاء بكتاب معجز وهو القرآن الكريم ، ولمست أنا اعجاز القرآن العلمى ، فآمنت بمحمد صلوات الله عليه ، ومحمد عليه السلام بشر مثلى مادة ، ولكنه يقول : إن هناك إلهاً من وراء كل هذا ، فأنا اؤمن بالله أيضاً عن طريق محمد عليه السلام .

أما الشخص الذى يريد أن يرى الله ويلمسه فأنا اطالبه بأن يطلب الملكة مارى ملكة انجلترا السابقة ويلمسها ؟ وهذا غير مقدور ، إنما كل ما فى الأمر انه سيكتفى بصورة لها ولن يستطيع أن يراها وجها لوجه أو يلمسها بيديه .. هذا مع الفارق العظيم بأن هذه ملكة انجلترا ، وهذا إله الكون جل وعلا .

فالله سبحانه وتعالى ، لا يمكن أن يرى بالعين المجردة ، لأنه اسمى من أن يظهر أمام الناس ، بكل ما فيهم من شرور وآثام ، ولكن الشخص الذى يؤمن إيماناً تاما ، يستطيع أن يراه بقلبه ، وأن يلمسه بقلبه أيضاً .

وجدير بالذكر أن العلم الحديث ينصب على دراسة خصائص الأشياء والاستفادة منها ، فالعلم الحديث يستغل الكهرباء فى توليد حرارة ومحركات ، وفى أعمال الأنارة والعلاج بالكهرباء ولكنه لا يستطيع أن يفسر إلى الآن ما الكهرباء ! ؟ بقدر ما نجح فى الاستفادة منها .

العلم الحديث عجز عن فهم كنه الكهرباء ، وكذلك الضوء والحرارة وأشعة اكس وما إلى ذلك .

حقا لقد عرف العلم كل هذه الأمور فى نظريات مختلفة متنوعة ، ولكنها لا تعطيك الحقيقة ، بل بعضها يتضارب مع البعض الآخر ، لأن وظيفة العلم الاستفادة من خصائص الأشياء ، ولا يبحث كيف وجدت هذه الأشياء ؟ وما ماهيتها ؟ وماحقيقتها ؟ ومثل هذا العلم لايوصلك إلى ما وراء الطبيعة .

ولكننا أثناء دراسة الأشياء نلمس من الابداع والاتقان ما يجعلنا نجزم بأن وراء ذلك خالقاً مدبراً .

وهذا هو سر إيمانى بالله تعالى .